المبرور فمن فاته الجهاد بالنفس لا يفوته الجهاد بالمال « وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين »

يا ايها الذين آمنوا تفكروا فى ماضيكم وحاضركم واسمعوا ماتقول الامم فيكم اليوم يزعمون ان المسلم يستحيل ان يقوم بمشروع نافع وان يأتى بعمل عام مفيد وان السعادة مختصة بهم ومحصورة فيهم فكذبوهم باعمالكم . وهذا المشروع فرصة سانحة لتكذيبهم فاغتنموها « لئلا يعلم اهل الكتاب أن لا يقدرون على شيء من فضل الله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »

مدنية العرب

(النبذة الثانية)

الجهاد في الاسلام كان للضرورة . الميل للعلوم والفنون استفاده العرب من القرآن . زيغ العقيدة ليس من لوازم العلوم الطبيعية . فساد الاخلاق والاعمال ليس من لوازم الفقه . الفلسفة فى الماضى والحاضر . الخلاصة ان مدنية العرب من دينهم

كان اول اثر للاسلام فى العرب جمع كلمتهم وتكوين وحدتهم وتأليف قلوبهم وهذه هى النهاية القصوى من المدنية التى من شأنها الا تحصل الا بعد ما تقضى الامة زمناً طويلاً فى مزاولة تعميم التربية والتعليم ومن هنا نقول ان الوحدة العربية لأول عهدها كانت بامداد سماوي وعناية الهية لا بسياسة القيم الكسبية وبراعة الداعى الطبيعية ولذلك قال تعالى مخاطباً النبي عليه الصلاة والسلام « لو انفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » ولقد حسدتهم الامم على هذه النعمة

وناوأتهم الشعوب للاختلاف في الدين فاضطروا الى المدافعة ثم امروا بالدعوة بالتي هي احسن فقابلهم المدعوون بالتي هي اسوأ لما كانت عليه جميع الامم لذلك العهد من الفساد والافساد والبغي في الارض بغير الحق فاضطروا لمكافحتهم وكتب الله لهم النصر « ولينصرنّ الله من ينصره ان الله لقويٌّ عزيز » ثم كان لهم ولوع بالفتوح وهي سنة الكون — العالم يستولي على الجاهل والضعيف ذو الاصلاح يغلب القوي ذا الافساد . فلما تمكنوا في الأرض وامنوا المناصبة والمواثبة ظهر فيهم الميل الى ما يرشد اليه القرآن من النظر في ملكوت السموات والأرض ورغبوا في الكمال في هذا النظر فاهتدوا بذلك الى الاستعانة بعلم من كان قبلهم فترجموا الكتب اليونانية وغيرها وصححوا غلطها وزادوا عليها ما شاء الله ان يزيدوا كما سيأتي تفصيله

يظن بعض الجاهلين ان الميل في العرب الى العلوم الرياضية والطبيعية كان من طبيعة الملك والعمران لا من ارشاد السنة والقرآن ويتهم بعضهم المسلمين بانهم هم الذين احرقوا مكتبة الاسكندرية اكتفاء بالدين عن كل ما عداه . وقد جاؤا بقولهم هذا ظلماً وزوراً . فان ما ورد في القرآن من الحث على النظر في ملكوت السموات والارض والانتفاع بكل ما يمكن الانتفاع به من هذه الخليقة هو اكثر مما ورد في احكام الصلاة والصوم او اي عبادة اخرى . ومن هؤلاء الجاهلين من يزعم ان العلم الذي كثر الترغيب فيه في هذا الكتاب العزيز انما هو علم الاحكام الفقهية ولكن حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى قال ان افضل العلوم العلم بالله تعالى وبسننه في خلقه وانما كمال العلم بالله تعالى تابع لكمال العلم بأسرار

صنعه وابداع خلقته وتدخل فى هذا جميع العلوم الطبيعية . واتل عليهم ان شئت قوله تعالى « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدَدٌ بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيزٌ غفور » فذكر العلماء بهذه المنقبة الجليلة بعد الاستدلال على انزال المطر واخراج الثمرات به والى اختلاف الوان الجماد والحيوان والانسان يدل على ان المراد بالعلم الذى يورث الخشية هو العلم بهذه المخلوقات من جماد ونبات وحيوان التى لها فى هذا العصر اسماء كثيرة منها التاريخ الطبيعي والجيولوجيا والجغرافيا الطبيعية والنبات وغير ذلك

فان قيل انا نرى المشتغلين بهذه العلوم لهذا العهد لا توجد عندهم خشية الله تعالى بل يقال ان منهم من ينكر وجوده سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوًّا كبيراً . فالجواب ان المشتغلين بالعلم الذين يسمونه فقهاً ربما كانوا ابعد من هؤلاء عن الخشية فان هؤلاء المتفقهة اتخذوا الدين حيلة للكسب واحبولة لصيد الحطام يحتالون على الله ويعلمون الناس الحيل لأكل الحقوق وقد فشا فيهم الكذب والخيانة والطمع وغيرها من الصفات الخسيسة التى يتنزه عنها فى الغالب العالمون بعلوم الخليقة ولا يصح ان نضيف هذا الفساد لعلم الفقه كما لا يصح ان نضيف ما عليه بعض علماء الكون من زيغ العقيدة الى انه من لوازم العلوم الكونية لأنه لا دليل على وجود البارئ وكماله الا هذه الاكوان البديعة التى خلقها فى احسن نظام ولكن الفساد فى الاخلاق والاعمال والزيغ فى العقائد

يرجعان الى فساد التربية التي يؤخذ بها الانسان من نشأته الأولى . وقد صرّح الفيلسوف سبنسر بان العالم باسرار الخليقة يجب ان يكون اعلم الناس بالله تعالى واشدهم تعظيماً له قال وهذا هو الدين الصحيح المرضيّ عنده تعالى وهذا القول صحيح لكن الذي قاله هو اساس الدين لا كل الدين .

وان تعجب فعجب قولهم ان من يتعلم العلوم الطبيعية يفسد اعتقاده قياساً على بعض فاسدي العقيدة من علمائها وهو قياس مع الفارق ولا يخاف على دينه الا من لم يكن في عقائده على يقين فان الموقن لا يخطر على باله ان يزول اعتقاده لأنه جازم بانه الحق المطابق للواقع والواقع لا يزول . والايمان بغير يقين لا يقبل من احد فقد قال تعالى « ان الظنّ لا يغني من الحق شيئاً » وقال تعالى حاكياً عن الذين لا ايمان لهم « ان نظنُّ الا ظناً وما نحن بمستيقنين » . ان اكثر مسائل العلوم الطبيعية العصرية مبنية على المشاهدة والاختبار فهي ثابتة يقيناً واليقين لا يناقض بعضه بعضاً فيخاف على العقيدة من شبه فيها واما المسائل النظرية التي تخالف بعض قضايا الدين فهي غير مقطوع بها عند اهل العصر ويسهل علينا ان لا نعلّم الاحداث هذه المسائل الا بعد معرفة البراهين الصحيحة على عقائدهم فتكون العقيدة اقوى منها . ولو كانت هذه العلوم في عصر العلماء المتقدمين الذين ذموا الفلسفة كما هي في هذا العصر ولها من الفوائد مثلما لها الآن لكان كلامهم فيها غير الذي كان . ولقد خضنا في هذا الموضوع مراراً فلا حاجة للاطالة فيه بعد ذلك